الفصل التاسع

محتـــوى التعلـــم

- مقدمة
- محتوى التعلم في الإسلام
- الكم والكيف في المحتوى المعرفي
- المكونات المعرفية
- حقائق
- مفاهيم
- تعميمات
- قواعد
- نظريات

مـقدمـة:

محتوى التعلم Learning Content هو البعد الثاني في مثلث التدريس، ويتضمن هذا المحتوى كل ما يقدم للتلميذ من محتوى معرفي أو محتوى مهاري أو محتوى انفعالي.

وإن كان هناك نقد يوجه إلى المحتوى المعرفي، فقد يرجع هذا النقد إلى اعتباره هدفاً أساسياً في العملية التعليمية وليس وسيلة لتحقيق الأهداف التعليمية. ونحن لا نقلل من قيمة المعرفة باعتبارها أساساً هاماً ومجالاً خصباً يتم من خلاله تحقيق الأهداف المعرفية والمهارية والانفعالية. مثل: تنمية القدرات العقلية المختلفة والمهارات العقلية والحركية والاتجاهات والميول والقيم وأوجه التقدير.

ولكن يجب أن نتعامل معها كوسيلة فقط لتنمية كيان الإنسان جسمياً وعقلياً وروحياً.

محتوى التعلم في الإسلام:

في ضوء المنهج الإسلامي، وما جاء به، يجب ألا تكون هناك ازدواجية في التعليم أي لا يكون هناك محتوى تعلم وضعي، ومحتوى تعلم ديني فالمحتوى الوضعي ما هو إلا رافد من روافد التعليم الديني، وكل

ما هو مرتبط بأمور الدنيا، وما هو مرتبط بأمور الآخرة هو تعليم ديني نصاً وروحاً[1]. وهذا يؤكد على أن دارس المحتوى الديني يجب أن يعرف الكثير من أمور الحياة المعاصرة ودارس المحتوى الوضعي يجب أن يعرف الكثير من أمور الآخرة.

وإذا نظرنا إلى محتوى التعلم الوضعي في مؤسساتنا التعليمية، على اختلاف مستوياته وفروعه يركز على المعلومات والمعارف والتجارب والخبرات التي يكتسبها الفرد في الحياة، والتي يستطيع أن يستخدمها لتوفير أسباب الراحة والعز في حياته، أما محتوى التعلم في المنهج الإسلامي يهدف إلى كل ذلك ويتخطاه إلى حياة أخرى أفضل وأسمى، بل ويهدف هذا المحتوى التعليمي إلى تحقيق سعادة هذا الفرد.

ولذا يجب تقديم محتوى التعلم الوضعي للمتعلمين في ضوء المنهج الإسلامي فمثلاً من الممكن أن نقدم لهم محتوى معرفياً خاصاً برأي الإسلام في العلاقات الاجتماعية أو الأسرية أو الدولية، في السياسة والتعليم والاقتصاد والحروب والسلام، في العلوم والرياضيات والتاريخ الإسلامي والفلك والكثير من أوجه الحياة الإنسانية الأخرى.

ويجب أن يقدم هذا المحتوى المعرفي على مستويات مختلفة لكي يعمق وينمي الوعي الديني، فليس من العدل في شيء أن تترك طبيب المستقبل أو المحاسب أو المهندس أو الحرفي... الخ يعيش على ذلك القدر اليسير من الدراسات الدينية التي تلقاها في مراحل تعليمه المختلفة، وقد أشار أحد العلماء المسلمين إلى أنه يمكن تنمية هذا الوعي الديني في المؤسسات التعليمية عن طريق تقديم محتوى تعلم خاص حول:[2]

---

(١) محمد حامد الأفندي: نحو مناهج إسلامية، المنهج وإعداد المعلم.
سلسلة التعليم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) أحمد شلبي: مناهج التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص ٨٧ ـ ٨٩.

- الشؤون السياسة والإدارة بدلاً من المذاهب الفكرية المختلفة ببعض الكليات المتخصصة.
- نظرية الاقتصاد الإسلامي في بعض الكليات.
- الحضارة الإسلامية في جميع مراحل التعليم.
- نظريات التربية الإسلامية بكليات التربية والمعلمين، والمؤسسات التربوية، حيث أن الاهتمام كان مركزاً لوقت طويل على دراسة نظريات التربية البريطانية واليونانية، ومن الغريب أن أبناءنا في هذه المؤسسات ليسوا على دراية بنظريات التربية الإسلامية التي ساهمت في توفير قدر هائل من المعرفة، في الوقت الذي كان الآخرون فيه عاجزين عن الكتابة.
- النظريات الاجتماعية حسب التصور الإسلامي.
- نظريات علماء المسلمين وما قدموه من دراسات ونتائج مفيدة في مجال الطب والعلوم الطبية والرياضيات والفلك والجغرافيا... الخ مثل:

* الطب والصيدلة: الرازي، علي بن العباس، ابن سينا، الزهراوي، ابن رشد، ابن رهد.
* في العلوم الطبيعية: جابر بن حيان، الرازي، الكندي، ابن الهيثم.
* في مجال الرياضيات: عمر الخيام، الخوارزمي، الخازن، جابر.
* في الفلك: الغزاوي، البيروني، المتاني.
* في الموسيقى: سعد بن سعرجه، ابن مهريز، الموصلي، إخوان الصفا، ابن باجة، الطوسي.
* في الجغرافيا: الميودس، الاصطخرى، الإدريسي، الزرقاني.

ويمكن الرجوع إلى مجلدات دائرة المعارف للحضارة والنظم الإسلامية للمزيد من المعلومات حول العلماء المسلمين وأعمالهم وما قدموه للبشرية.

والجدير بالذكر أن تزود الإنسان بالمعرفة يعطي معنى لوجوده ويميزه عن باقي المخلوقات الأخرى، فتفاعل هذا الإنسان مع ما حوله من مخلوقات أخرى من كائنات وظواهر وطبيعة لا يتم إلا عن طريق المعرفة وبنائها وتطويرها، وقد كرم اللّه بني آدم وزوده بالقدرات التي يستطيع بها التعامل مع هذه المعارف مثل التفكير والتدبير والاستقراء والاستنتاج والقياس والملاحظة والمقارنة والموازنة والتطبيق والتحليل والتركيز والتقويم، والإنسان في حاجة إلى اكتسابها والتدريب عليها، أكثر من حاجته إلى المعرفة نفسها، فلم يخلقنا اللّه مخازن لهذه المعرفة، ولو كان القصد من هذه المعرفة تخزينها في عقولنا فالحاسب الآلي مثلاً أفضل من الإنسان في هذا التخزين، ولم يخلقنا اللّه لنكون مجرد آلة، بل لنسير هذه الآلة ونسخرها.

فالهدف من تقديم المعلومات والمعرفة للإنسان، أن يوظفها في خدمته وإسعاده وخدمة وإسعاد الآخرين، مستخدماً في ذلك ما وهبه اللّه من قدرات، وهذا في حد ذاته عبادة خالصة له سبحانه وتعالى، وعلى الجانب الآخر، نجد أن جميع المعارف والعلوم التي بين أيدينا اليوم لا تمثل سوى القدر اليسير جداً من علم الله.

قال تعالىٰ: ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ [سورة الإسراء/ الآية: ٨٥].

وإن كان المنهج الإسلامي تناول جميع المعارف والعلوم الحالية، تارة بالتوضيح والإشارة الصحيحة، وتارة أخرى بالتلميح، إلا أنه تناول أساليب التعامل معها بوضوح ووضع أسس بناء وتطوير هذه المعارف ووجهنا إليها التوجيه الصحيح[1].

(١) مقلد باجن: توجيه التعلم في ضوء الفكر التربوي والإسلامي، مرجع سابق.

ولو أن هناك كتباً أنزلت تتناول جميع المعارف والعلوم الحالية، قد نشعر بنهاية هذا العالم ويتوقف تفكيرنا وقد نصاب بالجمود في الاستقصاء والبحث عن معارف جديدة، وفي هذه الحالة أيضاً سنكون في حاجة إلى ملايين الكتب للإشارة إلى هذه العلوم، يقول اللّه تعالى:

﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ [سورة الكهف/ الآية: ١٠٩].

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ [سورة لقمان/ الآية: ٢٧].

وللّه في خلقه شؤون، أعطانا القدر اليسير من العلوم، ووهبنا العقل المفكر لكي نتدبر خلقه ونصل إلى الجديد من العلوم، وأوضح لنا في منهجه الشامل مصادر المحتوى المعرفي وهي:(١)

١ ـ الوحي Rcvelation.

٢ ـ النفس Self.

٣ ـ العالم المحيط بنا World.

٤ ـ الطبيعة والتجريب العملي Nature.

٥ ـ الخبرة Experience.

٦ ـ التاريخ History.

الكم والكيف في محتوى التعلم:

أعطانا اللّه سبحانه وتعالى ووجهنا إلى هذا القدر اليسير من المعرفة لا لنخزنها، بل لنوظفها بما وهبنا اللّه من قدرات كما سبق الإشارة إلى

(١) سعيد عطية أبو عالي: التربية الإسلامية طريق إلى تحقيق الذات، المنهج وإعداد المعلم، مرجع سابق، ص ٩٨.

ذلك. والمنهج الإسلامي يأخذ المتعلم بواقعه الذي هو عليه وهذا ما نادت وتنادي به النظريات الحديثة في التربية، مراعياً بذلك الفروق الفردية، والنظر للمتعلم كما هو وليس كما نظن، فالمنهج الإسلامي يعرف حدود طاقته ويعرف مطالبه وضرورياته، ويقدر هذا وتلك، يقول اللّه تعالى:

﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ [سورة التغابن/ الآية: ١٦].

ويعرف المنهج الإسلامي ضعفنا إزاء التكاليف، ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً** ﴾ [سورة النساء/ الآية: ٢٨].

هكذا نجد أن المنهج الإسلامي لا يفرض على المتعلم من التكاليف ما ينوء به كاهله ويعجز عن ادائه، ويجعل التكليف الملزم في حدود طاقته الممكنة. وبهذا أنار لنا الطريق عند إقرار محتوى معرفي لمرحلة تعليمية معينة أو سنة دراسية منها، فلماذا الاهتمام بالكم على حساب الكيف؟

ويمكننا التعامل مع المحتوى التعليمي الوضعي على النحو التالي:

١ ـ أنه وسيلة وليس غاية.

٢ ـ مراعاة طبيعة المتعلمين وخصائصهم واحتياجاتهم.

٣ ـ مراعاة بيئة المتعلمين الطبيعية والاجتماعية وربطها بهذا المحتوى.

٤ ـ إكساب المتعلمين القدرات المتعلقة والمهارات المتنوعة وتنمية الجوانب الانفعالية من خلال هذا المحتوى، أي التحديد بدقة للسلوكيات المرغوبة قبل تدريس هذا المحتوى.

٥ ـ مراعاة شروط البيئة التعليمية من وقت وإمكانات وعوامل أخرى، وتخصيص الكم المناسب من هذا المحتوى لكي يؤدي وظيفته في ظل هذه الشروط.

٦ ـ اشتقاق هذا المحتوى من مصادر المعرفة السابق ذكرها.
٧ ـ أن يتضمن هذا المحتوى قضايا وحاجات الأمة والبلد من تراث وتقاليد وأوضاع اجتماعية... الخ.
٨ ـ السعي نحو وحدة المعرفة فلا فصل بين المعرفة الدينية والمعرفة العلمانية أو المعرفة العقلية والمعرفة الوجدانية وأن أي معرفة يتوصل إليها العلماء، لا تعتبر صادقة وسارية المفعول إذا ما تعارضت مع كتاب اللّه وسنة رسوله، وأي معرفة تجعل الإنسان يحطم قيمه السامية تعتبر معرفة خبيثة وضالة.

فالإنسان كما ذكرنا من قبل لا يعرف إلا القدر اليسير من المعرفة والقرآن الكريم والسنة المطهرة تملك زمام المعرفة جميعاً ولا تغيير ولا تبديل في هذين المصدرين.

ويقول اللّه تعالى: ﴿ **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمةً لقوم يؤمنون** ﴾ [سورة الأعراف/ الآية: ٥٢].

في ضوء هذا الدستور الشامل للحياة، عاشت مدرسة محمد ﷺ أكثر من ١٤٠٠ عاماً وستظل بمشيئة اللّه إلى يوم يبعثون قوية في أساسها وإمكاناتها ومحتواها التعليمي، ومناهجها بما تتضمن من طرق تعليم وتهذيب وإرشاد وتقويم. عاشت لا بكم المعرفة فقط الموجود بالقرآن والسنة، ولكن بترجمة وتوظيف هذه المعرفة إلى قدرات ومهارات وانفعالات لأبناء هذه المدرسة حتى أفرزت لنا رجالاً ذوي سلوكيات قادرة وواعية لحمل الأمانة، سلوكيات نسعى للاقتراب منها وإكسابها لأجيالنا القادمة.

وقد ظهر بعض جهود العلماء المسلمين اليوم نحو أسلمة المعرفة الوضعية أو أسلمة المناهج، وهذا بلا شك محاولات واجتهادات جيدة،

ولكن في ضوء هذا الدستور الشامل الإسلامي، نجد أن الإسلام ليس بحاجة إلى مناهج بقدر حاجتنا نحن إلى استنباط مناهج من هذا الدستور، فهو قوي بكيانه ومحتوياته وعناصره وعندما أوحى به اللّه إلى محمد پ، لم يقصد هذا المحتوى لذاته، بل للعبادة الخالصة التي هي غاية الخلق كلهم من جن وإنس، واللّه سبحانه وتعالى لا ينفعه ولا يضره أن يعبده الناس أو لا يعبدوه، يقول تعالى:

﴿ **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون** ﴾ [سورة الذاريات/ الآية: ٥٧] لا ينفعه سبحانه وتعالى ولا يضره أن نأخذ بهذا المحتوى التعليمي الشامل أو لا، كما يقول الحق ﴿**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن اللّه لغني عن العالمين** ﴾ [سورة العنكبوت/ الآية: ٦]. ولكنه فيض من اللّه سبحانه وتعالى أن يكرم خلقه ويحافظ على صنعته وهي الإنسان، وهو الأعلم بهذه الصنعة، فمن كرمه أن يجعل العبادة وهي الغاية الكبرى وهي السلوكيات المرتبطة بهذا المحتوى التعليمي، أن يجعلها وسيلة لإصلاح الفرد وإصلاح الحياة على الأرض، وأن يثبت خلقه على هذه العبادة، وهي عمل يعمله الإنسان لنفسه، واللّه غني عنه وعن العالمين.

المكونات المعرفية:

قبل تناول هذه المكونات المعرفية، نؤكد مرة أخرى أن ما جاء بالقرآن الكريم والسنة النبوية حقائق ثابتة ثباتاً مطلقاً، لا تبديل ولا تغيير، ولذا يجب أن تكون هذه الحقائق أساساً تدور عليه رحى التربية في المراحل التعليمية المختلفة كما كان الحال في عصور الإسلام الأولى، وفي نفس الوقت المتعلم في حاجة ماسة إلى علوم الحياة ولكن دون فصلها عن الحقائق الثابتة والمنهج الشامل، هذه العلوم وما أخذ منها كمحتوى تعليمي نراه في المقررات الدراسية يجب على المعلم أن يتعامل معه في ضوء مكوناته بهدف:

١ ـ تدريب المتعلمين كيف يتناولون هذه المعارف ويفهمونها ويربطونها بالواقع والبيئة التي يعيشون فيها، ويحللونها ويقيمونها ويأتون بمعارف جديدة ويبدعون.

٢ ـ إكساب المتعلمين المهارات العقلية والمهارات الحركية المرتبطة بهذا المحتوى التعليمي.

٣ ـ إكساب المتعلمين الجوانب الإنفعالية الإيجابية مثل:

- تدعيم أو تكوين اتجاهات مرغوبة أو قيم سامية... الخ.

ولذا يجب أن يصمم المعلم في ضوء هذه المستويات دروساً خاصة بكسب القدرات المعرفية ودروساً خاصة بكسب المهارات وأخرى بكسب الجوانب الانفعالية.

وبتحليل المحتوى المعرفي نجد أنه يتكون من المستويات التالية:

١ ــ حقائق: Facts

وهي ما تشير إلى كل ما هو ثابت وواقعي وصحيح ولكنه ثبات نسبي قابل للتعديل والتغيير، هذا الثبات النسبي ناتج عن الملاحظات والتجارب، وهناك الحقائق الوصفية مثل، يتمدد الحديد بالحرارة، والحقائق الكمية مثل كثافة النحاس = ٨,٩ جم/ سم^{٣}.

٢ ــ مفاهيم: Concepts

والمفهوم هو ما يمتلكه الفرد من معنى واستيعاب يرتبط بكلمات أو عبارات أو عمليات معينة، وهذا المعنى الذي تحمله كل كلمة عند شخص معين يعبر عن مفهومه عن شيء ما ويعتمد على:

- درجة نضج هذا الشخص
- خبراته السابقة

أمثلة لبعض المفاهيم: ـ الإخلاص ـ الطاعة ـ الإيمان ـ الفاعل ـ التنوين ـ التأكيد ـ الاختزال ـ التعويض ـ الخط المستقيم ـ التسطيح ـ التذوق ـ المحاورة ـ التصويب.

يجب ملاحظة تدرج كل مفهوم عند تدريسه ـ من حيث البساطة والتعقيد أو السهولة والصعوبة أو تعدد الصفات والقيم في كل مفهوم، فالمفهوم الذي يدرس لتلميذ الصف الأول الابتدائي يجب تناوله بأسلوب مختلف عند تدريسه للطالب في صف دراسي أعلى.

٣ ــ التعميمات: Generalization

هي عبارات ذات طبيعة تجريبية ولها صفة الشمول وإمكانية التطبيق على عدد من الأشياء أو الأحداث أو الظواهر التي ترتبط بها هذه التعميمات، وبالتالي فهي تساعد على إدراكها في شمولها وعمومياتها. مثل: جميع المعادن تتمدد بالحرارة.

٤ ــ القوانين والقواعد: Laws & Rules

تعبر القوانين والقواعد عن علاقة بين مفهومين أو أكثر، أو هي صياغة كمية لظاهرة أو مجموعة من الظواهر تحدد التغيرات التي تطرأ عليها تحت ظروف كمية وكيفية معينة ومحددة. مثل: قانون فعل الكتلة.

٥ ــ النظريات: Theories

وهي عبارة عن جملة أو تقرير يشرح أحداث كثيرة متنوعة، وتشتمل على عدد من الفروض العلمية، والفرض عبارة عن تصور ذهني معين تجاه ظاهرة أو مشكلة معينة. مثل: نظرية فيثاغورث.

والشكل التالي يوضح المكونات المعرفية السابقة:

المكونات المعرفية

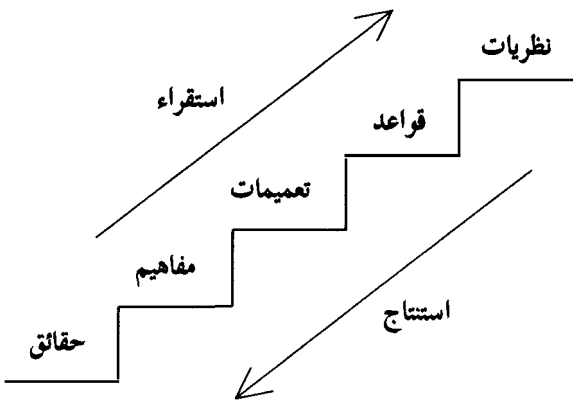

مصـــادر أخـــرى

- Young D: Knowledge and Control, Collier - Macmillan, London, 1971, pp. 117 - 132.